مكانة المرأة عند الشاعرين الرصافي والزهاوي من الناحية الفكرية والتطبيقية

طالب خليف جاسم

كلية التربية الاساسية

الخلاصة

اولاً : لقد اتسمت رؤية الرصافي والزهاوي لموضوع المرأة بالترابط المنهجي ، ومن خلال هذا الفهم استخلص فكرته القائلة بان عدم الاعتراف بالمرأة وحريتها والانتقاص من قيمتها الانسانية هو فقدان الحرية الانسانية للفرد والمجتمع .

ثانياً : ان الرصافي اعطى للوعي الرجالي وللاخلاق بعداً واحداً في المسؤولية عن حبس المرأة في المنزل ، وشدد حملته على الحجاب وكذلك فعل الزهاوي .

ثالثاً : لقد كافح الرصافي – في شعره – ضد الزواج التجاري والمصلحي وطرح مفهوم الحب في بيت الزوجية واعتبره قوام الاسرة الناجحة واعتبر الزواج الفاشل هو القائم على مصالح نفعية وتكون ثمرته الاخيرة الطلاق وهذا ما فعله الزهاوي وسار عليه .

رابعاً : انتقد الرصافي والزهاوي الطلاق الذي يحل الخراب في بيت الزوجية وقد مثل لذلك في صور شعرية واقعية [١] .

خامساً : وكان الرصافي والزهاوي يدعوان الى مساواة المرأة بالرجل متأثرين بالفكر الغربي الاوربى وبمبادئ الثورة الفرنسية ، ولهذا نجد السرد القصصي متأثراً بالفكر الاوربى ما عدا الاسلوب والنبباجة فهما عربيتان فى صورتهما ومعالجتهما ، فالتأثر الفكري بالغرب كان تأثرا شمولياً شكلياً بالنسبة للزهاوي خاصة .

سادساً : اهتم الرصافى بالجانب المادي فى جميع دعواته التي طرحها لتحرير المرأة من الحجاب ومن الاسر المنزلي ولهذا فقد اكد حق العمل واعتبره شرط اساسي من شروط التحرر الاجتماعي وهكذا فعل الزهاوى .

سابعاً : ان الشاعرين قاما بدور المصلح الاجتماعى وقد ابرز الرصافى الظل المأساوي التراجيدي عند عرضه لمشكلة المرأة نتيجة لوجود الجانب المأساوي فى شخصيته ، اما الزهاوي فكان يبرز جانب الخوف والقلق في بعض اشعاره وكل ذلك نتيجة خصائص البيئة الشعبية التي عاشها .

ثامناً : دعا الرصافي الى التعبير عن مشكلة المرأة بلغة العصر وان لغته اقرب الى النثرية والسرد فهي تنحو منحى القصص وكذلك الحال بالنسبة الى لغة الزهاوي فهي سردية تفصيلية يتفق بها مع لغة الرصافي من النواحي الاجتماعية خاصة ، الا ان لغته كانت مزج مثالي للادب بالسياسة او بالعلم او بغير ذلك .

تاسعاً : لاقى الرصافي حملة عنيفة من دعاة الحجاب وهاجموه ، وكما هوجم الرصافي فقد هوجم الزهاوي من قبل دعاة الحجاب الذين قاوموا السفور .

---

(١) الرصافي : ديوان الرصافي ، ج٢ ، ص١٣٤ .

عاشراً : واذا كان الرصافي يفهم حب المرأة على انه لهو ومجون بالرغم من دفاعه عنها بحيث تبدو علاقته بها في منتهى الرخص والابتذال ومرتبطة بجسدها فحسب كما في قصيدته (بداعة لا خلاعة) فان الزهاوي قد احال حب المرأة والدفاع عنها الى قضية علمية تخضع لاصدار الاحكام والتعسف [١] .

لقد اتسم الوضع العام للمرأة المسلمة في جميع البلدان العربية بسيادة الافكار والتطبيقات التي تؤكد على حجاب المرأة ، وافضلية العمل لها في البيت . فكان حجاب اللباس وحجاب البيت او المنزل يشكلان وجهين لواقع وحال المرأة . اذ اقترن الحجابان بالظروف الاقتصادية السائدة آنذاك ، لانها كانت تمثل الهيمنة الاقتصادية التي شيدتها نواحي العراق المختلفة ، حيث كانت فترت القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين من الفترات الحالكة التي مرت بها المرأة في العراق [٢] .

ان الواقع النسوي بمحتواه القائم على الحجاب وسيادة العمل المنزلي للمرأة ارتكز على دلائل نظرية وتقليدية وحقوق اساسية ، فكان الاطار النظري العام للحجاب وتقسيم العمل الاجتماعي والانتاجي بين المرأة والرجل بصيغته المعروفة أي ان المرأة للعمل المنزلي غالباً ، يمثل مجموعة المفاهيم والافكار التي تحتل المكانة الرسمية والاجتماعية معاً ، ولقد كانت المرأة محجبة لا يسمح لها بالخروج من الدار الا في النهار وتحت مراقبة شديدة . ولا نرى امرأة مسلمة تمر في السوق الا نادراً . لان ذلك غير مسموح به اجتماعياً في العراق ، وان فعلت ذلك فانها تسدل عليها العباءة او العباءتين ثم تتبرقع ببرقع اسود يغطي وجهها لكي لا يرى منه شيئاً . وقد بلغ التعصب بالرجل ان يمنع زوجته الخروج من البيت لاي سبب ولقد كان للدولة العثمانية آنذاك نهج متلائم مع تلك الافكار والمفاهيم ذلك ان افكار المجتمعات الاسلامية وافكار الدولة العثمانية عربية وغير عربية كانت تؤلف او تشكل دائرة واحدة . ولم يخترق حدود هذه الدوائر الا المتغير الجديد الناجم عن التأثر بالافكار الحضارية الغربية في حرية المرأة ، ولقد كان بعض الرجال يخجل من ذكر اسم الام او الزوجة او الاخت . اذ ان بعض الرجال يتفاخر بان زوجته لم تخرج من الدار ولقد وصف الشعراء هذه الحالة كقول محمد بسيم الذويب في وصف حالة المرأة :

ظلموك ، سجنوك زوجوك شر زوج في الوجود
قائلاً زوجي لا تخرج الا يو تدعوها اللحود [٣]

ولما انبثق القرن العشرين برز صوت احد الشعراء في مصر مطالباً بتخفيف او رفع الحجاب عن المرأة واعطائها حقوقها الاجتماعية معتمداً على تعاليم الدين الاسلامي التي تمنح المرأة حقوقها وحريتها الطبيعية وهذا الشاعر هو " قاسم امين " في مصر الذي تردد صوته حتى وصل العراق . وكانت فكرة تحرير المرأة من بين افكار اخرى متلازمة تمثل الاستقلال القومي والوطني والتحرر الاجتماعي ذلك من مبادئ الثورة الفرنسية هي الاساس تلك الافكار التي استقطبت مجموعة من الشعراء المثقفين الوطنيين كالرصافي والزهاوي [٤] .

---

١ المصدر السابق . ص٢٨٣ . وانظر : الزهاوي : الاوشال . ص٣٩ .

٢ د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ، ط١ : بغداد ، ١٩٥٨ م ، ص٢٣ – ٢٤.

٣ ديوان الزهاوي ، مصر ، ١٩٢٤م ص٢١٦

٤ د. محمد حسين : الاتجاهات الادبية : انيس المقدسي ، بيروت ، ج٢ ، ص٤٨ ؛ وما بعدها .

وانظر : الاتجاهات الادبية : انيس المقدسي ، بيروت ، ج٢ ص٤٨ وما بعدها .

وفي العراق ، كما كان لقاسم امين (في مصر) تأثير الكبير في اعادة فهم حقوق المرأة وحرياتها في ضوء الاصوات الجديدة المنادية بالسفور وترك الحجاب ، فقد اصبحت لفكرة السفور اصوات فعالة تتمثل في اصوات العديد من الشعراء والكتاب والمثقفين الذين خاضوا صرعاً ضد الحجاب فكانوا يمثلون مرحلة جديدة، حيث اعتبروا المرأة انساناً لها ما للرجل من حقوق وواجبات وانها عضو عامل لبناء المجتمع في العراق والوطن العربي وضربوا الامثلة لذلك فقد حاربت النساء مع الرسول (ص) وذقن آلام الاسر والتعذيب كالرجال ، واما الذين كانوا يقفون ، امام التيار او ضده فكانوا يمثلون رجال الدين وكانوا يرون في سفور المرأة خطراً يكلف المجتمع مشكلات كبيرة وخطيرة اضافة الى ان السفور مخالفاً لتعاليم الاسلام وقالوا بان دعاة السفور كفار وان الحجاب يصون المرأة [١] .

ولم يكن الصراع بين السفور والحجاب في بدايته متكافئاً ، بسبب انتشار وسيطرة وهيمنة افكار الحجاب ودعاته ، كما ان المجتمع آنذاك كان لصالح حجاب المرأة فكان ، فكان الصراع بين الكثرة والقلة ، ، أي ان صراع بين فكرة جديدة لم تكن قوية بعد وبين تقاليد جذورها ممتدة في الواقع الاجتماعي ، فكانت دعوت السفور جديدة هاجمت الموازين والمعايير في المجتمع العراقي الذي كان بين موقفين : التقاليد والتربية الاجتماعية التي اعتادها الفرد وبين العقل ومتطلبات الواقع من تحرير المرأة ومساومتها بالرجل ، اذ كانت قضية المرأة قضية حساسة في المجتمع العراقي الذي يرى ان كرامة الاسرة تتمثل بشكل اساسي بكرامة المرأة ، ذلك ان الاسرة العراقية متماسكة فاي عار يصيب المرأة فهو يصيب الاسرة كلها ، ولذلك نجد ان الداعين الى السفور يشترطون شروطاً لذلك حتى لا يؤذوا كراستهم او مشاعرهم الاجتماعية ولهذا فقد طالبوا بتعليم المرأة بشرط مراقبتها ، وان يكون سفورها محدداً بالوجه ، ولقد كان على رأس المنادين بسفور المرأة وتحريرها الشاعران الرصافي والزهاوي ، فقد كان الرصافي من دعاة السفور وخصماً لدوداً للحجاب وكان صوته الاعلى من بين الاصوات الاخرى التي تنادي بسفور المرأة حيث أزرته جريدة الرقيب في عددها الرابع والسبعين / السنة الاولى ١٩٠٩م فذكرت : ((ان حالة المرأة في مدينة بغداد حالة يستحي القلم من تحريرها ... والسبب في ذلك هو تعصب علماء الدين ضد تعليمهن ..)) ولهذا فقد كان الرصافي السابق في ميدان الدعوة الى سفور المرأة وان دواوينه تمتلئ بالقصائد العديدة وتفاصيل من اجل السفور ، وخير مثال على ذلك قصيدته التائية عام ١٩٠٩م ، التي كان لها الاثر الكبير في الحياة الاجتماعية العربية فقد تناقلتها الصحف السورية وقام بعض الشعراء بالرد على الرصافي محرماً تعليم المرأة ولقد استمرت هذه الدعوة طويلاً ولم تمت مع العلم ان المرأة قد حصلت على الكثير من حقوقها ، ولقد جر هذا الحال بعض الصعوبات والمتاعب والمشاكل على الشاعر الرصافي فكانت له من اعداء السفور صراعات كثيرة ولم يصبه الضعف والوهن [٢] . وديوان الرصافي خير مثال على مؤازرة المرأة ، وقد افرد لها باباً اسماه (النسائيات) اضافة الى وجود بعض القصائد فيه [٣] . وقد بحث الشاعر الرصافي جميع المشكلات التي تخص المرأة في العراق والمشرق العربي فكان يشبه المرأة كالنخلة اذا لم تكن قوية فلن يكون لها ثمر يانع طيب ، ولكن هل كان سلوك الرصافي محدداً لافكاره في حياته الخاصة وفي حياته العائلية ؟ او بتعبير آخر ، هو ما مدى العلاقة

---

١ عبد الهادي الاعظمي : تنوير الافكار ، العدد ٣ ، السنة الاولى ، ١٩٩٠ .

٢ معروف الرصافي : ديوان الرصافي ، تحقيق ... ، ص ٣٣٢ – ٣٤٥ .

٣ المصدر السابق : ص ٥٤، ١٥٦

بين افكار الشاعر الرصافي المنادية بالسفور وصلة ذلك بالتحرر النسوي وبين الواقع التطبيقي لتلك الافكار ؟ وهو القائل :

ظلموك ايتها الفتاة بجهلهم ... اذ اكرهوك على الزواج بأشيبا
هل يعلم الشرقي ان حياته ... تعلو اذا ربا البنات وهذبا
وقضى لها بالحق دون تحكم ... فيها وعلمها العلوم وأدبا[1]

وللجواب على ما تقدم نقول ان اهمية ذلك ناتجة عن الاختلاف والتباين بين الافكار والسلوك لدى الكثير من المثقفين وبخاصة فيما يتعلق بقضية المرأة ذلك ان الازدواجية هي السمة الغالبة في بعض المجتمعات العربية ففي الوقت الذي يدافعون فيه عن حقوق المرأة ويتمسكون بذلك على نحو مشابه لما هو حاصل في الغرب فاهم ينهجون ويسلكون طريقاً تقليدياً في التعامل مع المرأة من عوائلهم بصفة خاصة أي نهجاً رجعياً كما يسمونه . فهم ينادون بشيء ويعتبرون انفسهم انهم تقدميون ولكن واقع الحال هو غير ذلك ، واسباب هذا يمكن ان تعود الى التناقض بين قوة الفكر الجديد وقوة العادات والتقاليد الراسخة في وجدان المجتمع ، اضف الى ذلك الانتقال من حالة البداوة ومن بيئة الريف الى المدن ، وهي اساس نفسي ومادي لكل ذلك ، فطابع التغيير الفكري عاطفي وحماسي تمليه اعتبارات سياسية وبذلك يمكن القول ان النزاعات العشائرية تبقى في اعماق الفرد متغلغلة في داخله معبرة عن نفسها في القضايا الرئيسية والثقافية وكذلك بالموقف من قضية المرأة ، ولهذا فليس لدينا ما يشير الى هذه الامور عند الشاعر الرصافي علماً بان المرأة في محيطها العائلي محدودة جداً . ولقد كان الرصافي يتحدى المناوئين للسفور ويتخذ من المحاضرات والمناظرات التي القتها الاديبة ((نظيرة زين الدين)) نموذج رائع على قدرة المرأة المسلمة على الحرية والتعليم [2].

لقد حارب الرصافي بشعره أولئك الذين لم يلتزموا بتعاليم الدين الاسلامي لانصرافهم عنه . فحاربوا المرأة نحو بتها ولم يقتدوا برسول الله (ص) فقال في قصيدة القيت عام ١٩٢٢م :

ليس العلم في الاسلام فرضاً ... على ابنائه وعلى البنات

ورد على دعاة منع تعليم المرأة ، ولعل قصيدته التالية هي الجامعة لكل رأي في سفور المرأة فيخاطب عائشة ام المؤمنين زوج النبي (ص) ويشكو اليها حال المرأة والدعوة لمنع تعليمها فيقول :

وقالوا شرعة الاسلام تقضي ... بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الاسلام كذباً ... تزول الشم منه مزلزلات [3]

ولو تصفحنا ديوان الرصافي وما كتب عنه لوجدنا ان هناك ثلاث نماذج للمرأة معنية في شعره وفي حياته وهذه النماذج تلقي بعض الضوء على دعوته الى حرية المرأة والنماذج الثلاثة هي : المرأة الام والمرأة الزوجة والمرأة المتطورة اجتماعياً ونفسياً ، وفي النموذج الاول فقد قال الرصافي في امه :

---

١ المصدر نفسه : ص٣٣٢ — ٣٣٦

٢ المصدر نفسه : ص٣٣٤ ، وانظر : مختارات في السفور والحجاب ، بشأن شعراء العراق وكتابه ، تأليف (نظيرة زين الدين) ، بيروت ، ١٩٢٨ م ، ص ١٤٨، ٢٧٥ ، ٢٨٠ .

٣ ديوان الرصافي : ص ٣٣٩ — ٣٤١

((كانت مرجعي في كل شيء حتى وبعد مجاوزتي العقد الاول من حياتي ، لانني كنت لا ارى ابي الا قليلاً ، فهي التي كانت ترسلني الى الكتاب وانا صغير ، وهي التي كانت تجهز لي كل ما يلزم لذلك ، اما اليوم فكلما ذكرتها جاشت نفسي بالاحزان ..)) [١]

ويذكر ان الرصافي يتألم عند رؤية البيت بسبب تذكره لامه كما يقول طه الراوي :

((زرته ذات مرة في بيته فلمحت على وجهه امارات الانفعال وآثار الدموع فلم اكتم عنه ما لمحت فقال لي : سمعت قينة الى جوار منزلي هذا تغني غناءاً شجياً اذكرني البيت الذي كنت اعيش فيه ، وعلى الاخص امي التي كانت تحنو علي حنواً كبيرا)) [٢] .

واما زوجة الرصافي فيمكن القول بان الشاعر لم يحصل على حياة زوجية تامة بالمعنى الصحيح لتلك الحياة فهو كان اقرب الى العزوبة منه الى الزواج ، والحقيقة انه تزوج من امرأة تركية اثناء وجوده في تركيا الا ان هذا الزواج لم يدم طويلاً بسبب اسفاره المتكررة بين العراق وتركيا ونتيجة لظروف خاصة بالشاعر فتزوج ثيباً من نساء ازمير كانت شقيقة لضابط يدرس في المدرسة الحربية العسكرية ولكنها كانت عقيماً فلم تنجب له ولداً ، ولهذا فقد طلقت بدون سبب معروف [٣] . وذكر انها كانت شقيقة الدكتور اكرم امين، وان الرصافي لم يطلقها وانما تركها في الاستانة في تركيا وكان يوصلها بالمال حيث تذكر في احدى قصائده التي يقول فيها :

قد عاقني الاملاق عن سفري الى	من طال معتلجاً اليه حنيني
لكن قلبي لا يزال يشوقه	ظبي اقام بدار قسطنطين [٤]

ثم يقول :

الى كم تجد البين عني مسافراً	أما تستلذ العيش غير مسافر
واسكنها عني نشيج فلم تزل	تردده منها باقصى الحناجر
الى ان تقاضى الصبر فاقتر مدمعي	كمدمعها عن لؤلؤ متناثر
ولا عرو أن ابكي اسى من بكائها	فلعظم ما يشجي بكاء الحرائر [٥]

ومن هذا نستنتج ان الطلاق كان اضطرارياً بسبب البعد والفراق الذي طال بين الزوجين ، وبسبب الظروف الصعبة التي مرت بالشاعر ، وما امتناعه عن الزواج ثانية الا دليل على احترامه لمكانة المرأة وعدم استسهاله لاشراكها معه في حالة الزواج – بظروفه المعقدة [٦] .

واما النموذج الثالث في حياته فهو يمثل المرأة المقهورة اجتماعياً ونفسياً ، وهو ان الشاعر وقف الى جانب المرأة المعذبة ولديه قصائد عديدة تعكس مشاعره الانسانية تجاه المرأة المطلقة والارملة والمرضعة والام البائسة ، وكان في طليعة المتحدثين عنها والمدافعين عن قضاياها الاساسية فيقول في احدى قصائده (نساؤنا) :

---

١ مصطفى علي : أدب الرصافي (شروح وتعليقات الديوان) لعبد المسيح وزير : ص٦٥

٢ عزيز السيد جاسم : معروف الرصافي ، مطبعة الديواني بغداد ، د.ت ، ص١١٨

٣ بدوي احمد طبانة : معروف الرصافي (دراسة ادبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) ، مصر ١٩٤٧ م ، ص٣٩ .

٤ مصطفى علي : ادب الرصافي "نقد ودراسة" ص٧٥ .

٥ المصدر نفسه ، ص٧٦

٦ المصدر نفسه ص ٧١ – ٧٦

وانني لاشكو عادة في بلادنا ... رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع
وذلك انا لا نزال نساؤنا ... تعيش بجبل وانفصال عن الجمع
واكبر ما اشكو من القوم انهم ... يعدون تشديد الحجاب من الشرع [1]

ان قراءة شعر الرصافي في موضوع المرأة ، يكشف لنا الوعي العميق عند الشاعر وانه كان وعياً متقدماً بالنسبة إلى ثقافة عصره ، فقد اعتبر ان بقاء المرأة رهينة المنزل هو بمعنى واذلها وان هذا يعني قتل للنفس البشرية بجميع المعاني ، كما واعتبر ان ذلك هو انتقاص من مكانتها الاجتماعية وهو بمثابة شل لنصف طاقات المجتمع على اعتبار انها تمثل نصف المجتمع تماماً . ومن خلال قصائده نجده شاعراً واعياً عارفاً بواقع المجتمع كما في قصيدته (المرأة في الشرق) التي تناول فيها حجاب المرأة وارتبط ذلك بالهوان العام ازاء الاستعماريين وهو ان الكرامة الانسانية فقال :

لقد غطوا حق النساء فشددوا ... عليهن في حبس وطول ثواء
وقد الزموهن الحجاب وانكروا ... عليهن الا خرجة بغطاء
اضاقوا عليهن الفضاء كأنهم ... يغارون من نور به وهواء [2]

فالرصافي يرى – هنا – صورة العبودية الاجتماعية القائمة على استعباد المرأة ، ثم اخذ الشاعر يذم صورة اخرى وهي صورة احتجاب المرأة وكأنها اداة معرضاً بالقوم الذين ارادوا لها ذلك فقال :

بحيث لزمن قعر البيت حتى ... نزلن به بمنزلة الأداة
وعدوهن اضعف من ذياب ... بلا جنح واهون من شذاة [3]

وقال :

لئن وادوا البنات فقد قبرنا ... جميع نسائنا قبل الممات [4]

وهكذا كان الشاعر الرصافي يواصل توجيه النقد الى الرجل مبيناً دعوته الى رفع الجهل والتعلم الذي يقترن برفع الحجاب فقال :

وحجبوهن خوف العار ليتهم ... خافوا عليهم من عار الجهالات [5]

ولقد انتقد الرصافي الطلاق واعتبر ان الزواج الصحيح هو الذي يقوم على اساس الحب او التفاهم ، ففي حالة غضب من الرجل يقسم يميناً بالطلاق فيحل الخراب في بيت الزوجية ويقع ذلك على كاهل الابناء فهم الذين يدفعون الثمن غالياً ، وفي لفظات تصويرية واقعية انشد فيها الرصافي فقال :

وملقباً على حين ارتاحا ... كذلك يحيل الرجل الغضوب
والفتى بالطلاق طلاق بت ... ذوو فتيا تعصبهم عصيب [6]

---

١ معروف الرصافي : الديوان : ج٢ ،ص ٣٤٠

٢ مصطفى علي : ديوان الرصافي ، ج٢ ، ص٣٣٢ .

(٣) معروف الرصافي : الديوان : ج٢ ، ص٣٥٠-٣٥٣ ، التربية والامهات .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٣٥ ، العادات قاهرات .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٣٩ .

ن تأثير الرصافي بالفكر الغربي الاوربي جعله يدعو الى مساواة المرأة بالرجل ، وكل ذلك هو نتيجة لتأثره بمبادئ الثورة الفرنسية بصورة خاصة ، ولهذا فقد كان من المنادين الى الاصلاح الاجتماعي وانتشال المرأة من واقعها المر المؤلم ، وفي شعره باب خاص انفرد به هو "النسائيات" وقد شاركه في دعوة التحرير الشاعر العراقي "جميل صدقي الزهاوي" والشاعر المصري "حافظ ابراهيم" ولقد خاض الرصافي والزهاوي المعركة الى اعلى مستوياتها ولكن "حافظ ابراهيم" كان غير صريح فيما يدعو اليه ذلك انه يعرف البيئة التي نشأ فيها [١] .

ان الشعار الثابت للرصافي هو تحرير المرأة ، ومساواتها بالرجل ولذلك فقد اعتبر ان حق العمل هو شرط اساسي من شروط التحرر الاجتماعي وفي ذلك قال الرصافي :

كم في بيوت الفوم من حرة ... تبكي من البؤس بعيني امه

قد لوحت نار الطوى وجهها ... واعمل الفقر بها ميسمه

عاب عليها قومها ضعفه ... ان تكسب القوت وان تطعمه [٢]

وقد لاقى الرصافي حملة عنيفة من الشعراء الذين هاجموه واتهموه بخرق العادات والتقاليد واطلقوا عليه اسم الكافر والمارق وغير ذلك من النعوت وقالوا بان المرأة ناقصة عقل ودين ولا يجوز ان تمنح الحرية لانها لا تحسن استعمالها ، ومن الشعراء الذين هاجموه محمد السماوي وخيري الهنداوي ولعل اعنف رد على الرصافي هو رد صديقه محمد بهجة الاثري فقد هاجمه عندما نظم قصيدته العينية ، فقال ان الرصافي طالب خلاعة وانه جاهل ثم رماه بالكفر والضلال وقد رد عليه الرصافي رداً لطيفاً [٣]

ورد الشاعر عبد الحسين الازري على قصيدة الرصافي الهمزية وحذر بنت بغداد من الشاعر الرصافي الذي اعتبره بعيد عن واقع الحياة وان اجتماع المرأة بالرجل ما هو الا مفسدة ومجلبة للهوى فقال :

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى ... لو اصدقتك ضمائر الجلساء [٤]

وكان الزهاوي مدفعاً في تأييد حقوق المرأة وسفورها كذلك ، فقد ذكر الاديب رفائيل بطي ان الزهاوي نشر مقالاً بعنوان (المرأة والدفاع عنها) في جريدة المؤيد المصرية في عددها (٦١٣٨) ، ولم تكن هذه الاراء مقبولة عند المسلمين . فقامت في حينها ضجة واشاع المسلمون بان الزهاوي في مقالة هذا تحامل على الدين الاسلامي ، ولذلك طالب السيد (مصطفى الواعظ) والي بغداد العثماني بعزل الزهاوي من وظيفته فاجيب طلبه . وكذلك فقد خلف الزهاوي من اذى الناس ولزم داره [٥] .

ونحن حين نلاحظ بعض الحقائق ، والبيئة المحيطة بالزهاوي ، نرى ان الزهاوي نظم قصيدة ذكر فيها ان الناس جميعاً حاربوه غضاباً صاخبين وكانت صورتهم مضحكة ، فذاك يعدو وذاك يقفز وهذا سائر ببطء [٦] ، وكأنهم ذاهبون الى دعوة فرح لا الى الانتقام من شخص كافر ملحد وقد كرر الزهاوي هذا المعنى

---

(١) ديوان حميد عبيد : معروف الرصافي ، ص١٥٢ .

(٢) الرصافي : "المرأة المسلمة ... ديوان ، ج٢ ، ص٣٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٣٤ .

(٤) رفائيل بطي : الادب العصري ، مصر ، ١٩٢٣م ، ج٢ ، ص٥٥-٥٦ . وانظر : (مختارات في الحجاب والسفور) ، مصطفى عبد الجبار القاضي ، بغداد ، ١٩٢٤م ، ص٣٠

(٥) رفائيل بطي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤

(٦) جميل صدقي الزهاوي : ديوان الزهاوي ، مصر ، ... ، ص٣٠٧-٣٠٩ .

في قصيدة اخرى وعلل اجتماع الناس وتجمهرهم لي حد رجم الذين اوغر صدورهم بانه زنديق ، ومن يفتك به يدخل الجنة [١] .

ان تألب الناس على الزهاوي وتظاهرهم تفتك به وقتله و تمثيلية بهدر دمه نقل من مراجع مهمة اهمها ما كتبه الزهاوي في جريدة الرقيب شاكياً للوالي ضدهم وعبر عن قيام مظاهرة ضد الزهاوي هو الزهاوي نفسه في شعره ونثره ، ولا توجد ثورة في الحقيقة ضد الزهاوي [٢] .

ان الزهاوي بطبعه خائف شكاك يهول الامر ، وله قصد وهدف واضح هو لابراز نفسه بصورة البطل حتى يغطي على خوفه ، وهو شاعر مريض انا اصيب بمرض صرع واشتكى فيقول :

اشكو الى أي هذي الناس مظلمتي ... وقد ترى باضطهادي الترك والعرب [٣]

وتظهر اخلاق الزهاوي واضحة جلية في شعره فهو يبكي ويذرف الدموع خوفاً وهلعاً . اما الرصافي فقد كان معتزاً بنفسه وبكرامته مفتخراً متحملاً الالام ، ولذلك لم يرسم في شعره شخصية قلقه خائفة، ولكن لا يمكن لاحد ان ينكر فضل الزهاوي على تحرير المرأة ونضاله من اجلها وفي سبيلها ، ولذلك نرى ان قصائده خير دليل على هذا ولكن الذي نراه هو ان الزهاوي غير موحد الآراء ففي الوقت الذي يدعوا الى تحرير المرأة وسفورها فانه يعالج مشكلات اخرى ويحشر نفسه فيها فمن ابيات له في ترك الحجاب :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا ... واسفري فالحياة تبغي انقلابا

مزقيه وبعد ذلك ايضاً ... مزقيه حتى يكون هباباً

وانزعيه بقوة وطئيه ... واجعلي في فم الحقيق ترابا

كذبوا فالسفور عنوان طهر ... ليس يلقى معرة وارتيابا [٤]

لقد اراد الزهاوي ان تعامل المرأة معاملة لائقة بها ولهذا فان مهاجمة دعاة الحجاب يمثل رأيه الواضح في السفور حينما قال :

ان في الحجاب شر الشعب ... وخفاء وفي السفور ظهور

كيف يسمو الى الحضارة شعب ... منه نصف عن نصفه مستور [٥]

لقد كان الزهاوي شديد العناية بزوجته ، ولهذا فقد اراد ان تكون معاملة المرأة مثلى وطالب بمعاملتها بالحسنى وهاجم الرجال الذين يتألون من المرأة وقال انهم رجال قساة ظلام .

ولقد بالغ الزهاوي فسبغ على المرأة الكثير من الاوصاف منها وصفه لها بالازاهير وبالربيع ، وان المرأة هي التي ترعى زوجها بحب عميق ، ثم جعل الزهاوي سعادته بوجود زوجته ولهذا فهو يشكو لها حالة الرعب التي لازمته فاخذ يذكر "المسدس" في شعره عندما كان مهدداً بالاغتيال من قبل انوالي الفريق الاول حسين ناظم باشا الذي لقبه الزهاوي بطاغية بغداد ثم يخاطب زوجته قائلاً :

أبثين ان ادنى العدو حمامي ... بمسدس يوريه او بحسام

---

(١) المصدر نفسه ، ص٩٠-١٩٣ .

(٢) مهدي العبيدي ، حقيقة الزهاوي ، بغداد ، ١٩٤٧م ، ص٦٠ .

(٣) ديوان الزهاوي ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

(٤) جميل صدقي الزهاوي : اللباب ، بغداد ، ١٩٢٨م ، ص٣٣٥ .

(٥) جميل صدقي الزهاوي : الاوشال ، بغداد ، ١٩٣٤م ، ص٣٣٥-٣٣٩ .

فتجلدي عند الردية واحسبي اني اجتمعت اليك في الاحلام [١]

فسعادته النفسية هي ان تطيعه زوجته وان تفهم الكلام الموجه لها فهو يعتبرها مشاركة له في مصائبه ونوائبه فيقول :

سعـــادة المـــرأة زوج يطيعـــها وتطيـــع [٢]

ويطالب الزهاوي كما ذكرنا بمساواة المرأة بالرجل واتخذ من الغرب قدوة او نموذجاً لذلك فقال :

للمـــرأة الـــيوم في مجلس القضاء محل

للمـــرأة الـــيوم في البرلمان عقـــد وحل

للمرأة اليوم في اكتشاف الحقائق شغل [٣]

ومن هذا يتضح ان الزهاوي قد رأى في صورة الاسرة في اوربا السعادة والهناء وهي الاسرة السعيدة الناجحة .

ان لغة الزهاوي في شعره سردية تفصيلية يتفق بها مع لغة الرصافي عندما يتطرق الشاعران الى معالجة الموضوعات الاجتماعية وعرض المآسي في المجتمع باسلوب قصصي بسيط مفهوم ، كما في قصة (طاغية بغداد) و (اسماء) فهي صورة صادقة لقصص الرصافي الاجتماعية في (الارملة) او (المطلقة) او (اليتيم) او (العامل المريض) وهي قصص ذات طابع اجتماعي انتقادي وانها في شعر الزهاوي تأخذ طابعاً سياسياً لاذعاً وصريحاً ، وله في قصة (طاغية بغداد) خير مثال على ذلك :

رام شيئاً لبنت بغداد يزري فغلى الشعب شعبها ايغارا

بنت قوم لم يدنس العرض منهم بقبيح هم من سراة النصارى [٤]

فالذي يقرأ هذه القصيدة يلاحظ نمطها الاوربي في السرد القصصي بغض النظر عن الاسلوب والديباجة فانهما عربيان واضحان ، ولكن اللغة فيهما جديدة ، وهذا ما يمثل لغة الزهاوي ولغة الرصافي [٥] ، ولهذا فقد رأى الشاعر "الشبيبي" ان الزهاوي والرصافي وسواهما ، كانا متأثرين بالمفاهيم الحضارية الغربية فقال : ((يرى بعض الادباء ان مما يمتاز به ادب كل من الشاعرين الزهاوي والرصافي ما يسمونه تحرير المرأة ويراد بذلك ان تحذو المرأة المسلمة حذو المرأة الغربية في حياتها ...)) [٦] .

وكما هوجم الرصافي فقد هوجم الزهاوي واتهم بالالحاد والكفر والزندقة ، فقد كانت بغداد هي مركز دعاة السفور لانها اكثر تأثراً بالحركة الثقافية والحضارة [٧] .

وتبقى المشاعر والاحاسيس عند الزهاوي والرصافي واحدة منبثقة من مصدر واحد ، وهو مركز الشعور الانساني الخالد الذي ينتمي اليه الشعر والانسان والطبيعة معاً ، فلغة الشعر عند الشاعرين واحدة فهي كلغة الشعر تبقى واحدة على مر الاعصر الادبية ولا يوجد اختلاف الا من ناحية معالجة الموضوع او الطريقة في معالجة الموقف تجاه المرأة ، فالذي يقرأ ادب الرصافي يلاحظ ان الفاظه تبدو نثرية في طابعها

---

(١) الزهاوي : الديوان ، ص١٣٠-٣٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣١٠-٣١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٥ .

(٥) احمد صافي النجفي : الامواج ، ط١ ، دمشق ، ١٩٣٢م ، ص٥ .

(٦) بدوي احمد طبانة : معروف الرصافي ، (مقدمة نقد محمد رضا شبيبي) هامش ص١٥٦ .

(٧) احمد صافي النجفي : الامواج ، ص٧٩ .

ما قورنت بلغة والفاظ بعض الشعراء شعره خلال معالجته لموضوع المرأة وغيره عن وعي منه وادراك ولهذا فان الشرية في شعر الرصافي طبعته بطابع الشعبية والتعبير عن المشاعر العميقة للجماهير ومنها المرأة ، والزهاوي هو الاخر يتفق مع الرصافي في لغة ذلك انها لغة سردية تفصيلية فيها حرية الاختيار والتعبير ولهذا فان لغة الزهاوي النقية واضحة في بعض قصائده بعيداً عن لغته النثرية التعليمية والعلمية ، فهو شاعر المعنى كما نعت نفسه والشواهد كثيرة [١] ، واما الرصافي فهو اول شاعر عراقي عنى بمشكلات المرأة في عصره ، وكان يتوجه الى الناس ومشكلاتهم وواقع حياتهم بلغة شعرية متجددة [٢] ، تتسم بالسردية والنثرية التي لا يعتبرها الرصافي واقرانه من الشعراء عيباً بل غاية في الاجادة .

المصادر

١- ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ، بيروت ، طبعة ثانية ، ١٩٨٠م .

٢- احمد الصافي النجفي : الامواج ، ط١ ، دمشق ، ١٩٣٢م.

٣- بدوي احمد طبانة : معروف الرصافي (دراسة ادبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) ، مصر ١٩٤١ م ، ص٣٩ .

٤- جلال الخياط : الشعر العراقي الحديث ، بيروت .

٥ جميل صدقي الزهاوي : الاوشال ، بغداد ، ١٩٣٤م .

٦ جميل صدقي الزهاوي : اللباب ، بغداد ، ١٩٢٨م.

٧- جميل صدقي الزهاوي : ديوان الزهاوي ، مصر ، ١٩٢٤م .

٨- الرصافي : المرأة المسلمة" – الديوان ، ج٢.

٩ رفائيل بطي : الادب العصري ، القاهرة ، ١٩٢٣م ، ج٢ ، ص٥٥-٥٦ . وانظر : (مختارات في الحجاب والسفور) ، مصطفى عبد الجبار القاضي ، بغداد ، ١٩٢٤م.

١٠-عبد الهادي الاعظمي : تنوير الافكار ، العدد/ ٣ ، السنة الاولى ، ١٩٩٠ .

١١ عزيز السيد جاسم : معروف الرصافي ، مطبعة الديواني بغداد ، د.ت .

١٢ علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ١٩٧٥م .

١٣-محمد حسين : الاتجاهات الادبية : النبي المقدس ، بيروت ، ج٢.

١٤ مصطفى علي : ادب الرصافي "نقد ودراسة" .

١٥ مصطفى علي : أدب الرصافي (شروح وتعليقات الديوان) لعبد المسيح وزير .

١٦-مصطفى علي : ديوان الرصافي ، ج٢.

١٧ معروف الرصافي : الديوان ، ج٢ .

١٨ معروف الرصافي : ديوان الرصافي ، القاهرة ، ١٩٤٧م.

١٩-مهدي العبيدي ، حقيقة الزهاوي ، بغداد ، ١٩٤٧م.

٢٠-يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ، واثر التيارات السياسية الاجتماعية فيه ، بغداد ، ١٩٦٠م.

٢١-يوسف عز الدين : الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٨ م.

---

(١) د. ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ، بيروت ، طبعة ثانية ، ١٩٨٠م ، ص٤١-٤٤ . وانظر : ديوان الزهاوي ، ص٦١ .

(٢) د. جلال الخياط : الشعر العراقي الحديث ، بيروت ، ص١٥٢ . وانظر : د. علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ١٩٧٥م ، ص١٥٧ . وانظر : د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ، واثر التيارات السياسية الاجتماعية فيه ، بغداد، ١٩٦٠م ، ص٢٥٢ .